

يشق أثوابه ، ويهجر شرابه ، ويحفو ملاذه ، ويتصور الرعية توشك أن تنقض عليه ، فيقرر أن يفتك بها أولاً ، واختار أن يكون ذلك في يوم الجمعة ، وأسر بالأمر إلى وزيره صمويل ، فنهاء عن ذلك وخطأ رأيه ، « وسأله الأناة ومحض الروية ، وقال له : هبك وصلت إلى إرادتك ممن بحضرتك ، على ما في استباحتهم من الخطر ، فأنتي تقدر على الإحاطة بجميعهم من أهل حضرتك وبسائط أعمالك ؟ أتراهم يطمثون إلى الذهول عن مصائبهم ، والاستقرار في موضعهم ؟ ما أراهم إلا سيوفاً ينتظمون عليك في جموع ، يفرقونك في لججها أنت وجندك » (١١)

ولكن هذه الكلمات بكل ما فيها من فطنة لم تؤدي إلى أية نتيجة في تفكير باديس ، وطلب من الوزير أن يحتفظ بالأمر سرا ، وأعطى الأوامر بتنفيذ الخطة في يوم الجمعة ، وفي ذلك اليوم كان على الجنود أن يجتمعوا بكل أسلحتهم ، بحجة القيام بعرض عسكري . ولكن صمويل لم يسكت أمام هول المأساة ، كان يعرف أنها ستعصف بباديس ، وستنهي نفوذه ، إن لم تطح برأسه ، على أقل تقدير ، فدرس « نسواناً إلى معارف هن من زعماء المسلمين بغرناطة ، ينهاهم عن حضور المسجد يومهم ويأمرهم بإخفاء أنفسهم ، وفشا الخبر فتخلف الناس عن شهود الجمعة ، ولم يأت إلا نفر من عامتهم ، اقتدوا بمن أتاه من مشيخة البربر وأغفال القادمين . وجاء الخبر إلى باديس ، والجيش في السلاح حول قصره ، فساءه وقت في عضده ، ولم يداخله شك في أن سره قد ظهر ، وأنكر صمويل التهمة ورد : من ينكر على الناس الخدر ، وأنت عبأت كل جيشك ، ولست على سفر ، ولا عدو وثب إليك ، ومن هنا حدس القوم أنك تريد لهم . فأعد نظرك ياسيدي وأشكر الله بدل أن تغضب ، لأنهم عرفوا نيتك ولم يثوروا . فخذ الأمر بنفس هادئة ، وسيجيء اليوم الذي تعرف فيه أن الحق كان معي ، فتحمد رأبي ، وعاقبة نصحي ، ولم يقتنع باديس بما قال وزيره ، ثم طابت نفسه بعد لأي حين سمع الرأي نفسه من شيخ بربري (١٢) .

وحدث ماجعل باديس يصبح أسير إرادة صمويل . فقد اتفق جماعة على قتل باديس

(١١) الإحاطة ، ج ١ ص ٤٤٥ .

(١٢) المصدر السابق ص ٤٤٦ .